مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 07/ العدد: 02 مارس (2021) - ص 157- 166

التاريخ وعالم المتخيل في الرواية المغاربية

History and fictional universe in the Magrebian Novel

محمد سعدي[1] حفصة جعيط[2]
[1]saadimohamed152@gmail.com [2]hafsa122006@yahoo.fr
جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله

تاريخ الاستلام: 2020/06/25 تاريخ القبول: 2020/12/13 تاريخ النشر: 2021/03/15

ملخص البحث

تتمحور هذه الدراسة حول استدعاء الكتّاب المغاربة التاريخ في الرواية، واخترنا نموذجين اثنين على التوالي الروائي الجزائري محمد مفلاح في رواية «شبح الكليدوني»، والتونسي حسونة المصباحي «أشواك وياسمين».

تثير هاتان الروايتان قضايا جوهرية تتعلق بالماضي والحاضر المغاربي، ويشغل الكاتبان تقنيات السرد واستراتجيات كثيرة إلاّ أن كل منهما يستقل بتوظيفها وفق رؤيته. وقد قمنا بتحليل قدرة الروائيين ومهارتهما في الغوص في عوالم مختلفة، وبحثنا عن طبيعة العلاقة بين التاريخ والرواية. ووصلنا إلى أن توظيف التاريخ يتغيّ محاولة الإجابة عن أسئلة كثيرة تتعلق بالماضي والحاضر والمستقبل.

الكلمات المفتاحية: التاريخ .الرواية المغاربية. المتخيل- التقنيات.

ABSTRACT:

This paper explores the integration of history into the novel by maghrebian writers trough two examples, «The Caledonian ghost» by Muhammad Meflah, and «Thorns and jasmine» by Hussuna Elmesbahi.

These novels raise crucial questions about history and present, but they not call for the same narrative elements or range of strategies.

.We analysed the ability of these writers to transport reader into many worlds.

These novelists engage questions of history, present, and commit to the future.

Key words: History- Magrebian Novel- fiction- Techniques

[1] المؤلف المرسل/ سعدي محمد

1. مقدمة :

تعد الرواية التاريخية فنّا راقيا، فهي تسمو بموضوعاتها لتحقيق أهداف ذات أهمية بالغة، إذ تسعى لإحياء وبعث ماض تليد لقراءة الحاضر والمستقبل، وقد اكتشف المبدعون أنّ المتلقين لا يستجيبون للمؤرخ مثلما ينجذبون للأديب لأنّ الأول يصدر الخطاب المباشر الجاف بينما يختار الثاني التفاصيل وبقراءة رؤيوية مشوقة .

يدخل في هذا الإطار تناول الكاتبين محمد مفلاح وحسونة المصباحي في روايتهما «شبح الكليدوني» و«أشواك وياسمين » نضال شعبين في حقبة زمنية كان لها الفضل في تهيئة جيل مقاوم بالقلم والسلاح، فراحا يمزجان الحقيقة بالخيال ولكنهما لم يبلغا التصرف في الحوادث التي أثبتها المؤرخون.

تتقاطع الروايتان في الغور في الماضي، ففي «شبح الكاليدوني» صورٌ من الاستعباد الذي سلّطه المستعمر الفرنسي على الشعب الجزائري وميراث قهري ظلت آثاره في الذاكرة الجماعية وتتمظهر في الآنية الشائعة بين الشعوب المغاربية مقابل نقص الوعي بمآثر الأجداد،وفيها حفر في الذاكرة الوطنية، وبخاصة وقائعها المنسية. ويستعرض حسونة مصباحي في روايته «أشواك وياسمين » مراحل من تاريخ تونس القديم إلى أن يصل إلى تاريخها المعاصر المتمثل في ثورة الياسمين أو أكذوبة الربيع العربي، وما تسببت فيه من أعطاب أصابت بنية المنظومة القيمية وظهور أشكال عنيفة من المقاومة الإسلامية.

ولهذا يحاول هذا البحث التنقيب في التقنيات التي استخدمها الكاتبان، و الحوادث التاريخية والمتخيلة،وتتمثل إشكالية البحث في محاولة الكشف عن أسرار العملين الروائيين، فكيف استطاع المؤلفان استثمار التاريخ في فضاء الأدب، وإلى أي مدى نجح التعالق بين الأدب والتاريخ؟ وما الأساليب والتقنيات التي اعتمداها في توظيفهما التاريخ ؟.

2. الرواية وتفسير الحدث التاريخي

تلعب الرواية دورا مهما في استحضار واستجلاء ما حدث في التاريخ لكونها أفضل الأدوات تعميقا وصدقا في تصويره ،وأول ما يتبادر إلى الذهن عندما نتحدث عن الرواية والتاريخ هو العلاقة التي تربط بينهما لينشأ نوع خاص عرف بالرواية التاريخية. في هذا المجال يقول فخري صالح: «العلاقة بين الرواية والتاريخ وثيقة، إذ ظهرت الرواية كنوع أدبي علامة على بزوغ عصر جديد وفئات اجتماعية صانعة للتاريخ (...) فإن التاريخ هو موضوع الرواية تاريخ البشر والمجتمعات والفئات الاجتماعية الطالعة، وكذلك الهامشية المقيمة على أطراف المجتمع . والأهم من ذلك في نظري هو أن تاريخ الفرد يعد موضوع الرواية بوصفها نوعا أدبيا حديثا يشخص أتواق الأفراد، وعالمهم الداخلي والفجوة العميقة القائمة بين سير هؤلاء الأفراد ومحيطهم الاجتماعي» [1].

ويوضح فتحي بوخالفة أن عملية توظيف التاريخ في المتن الروائي يُعدّ نوعا من تفاعل النص الحقيقي مع النص المتخيّل، فالوعي بالتاريخ هو وعي بالحاضر الذي يجب أن يكون. وإلى هذا التوجّه تذهب نورة بعيو: «إنّ التاريخ أو السجل التاريخي يعلمنا عن جموع الوقائع التي جرت في الماضي البعيد أو القريب، وكيف وقعت مفصلة وإجمالا يقدم هذا السجل كمادة لذوي الاختصاص ومع المادة ذاتها يستطيع الروائي أن يقدم لنا التاريخ في صورة حيوية تجتذب مختلف فئات المتعلمة في المجتمع ،فإذا كان المؤرخ يهتم بتقديم جثة التاريخ محاولا تشريحها وفهمها فإن الروائي يحرك هذه الجثة في عمل فني يعيش بين الناس ويتفاعلون معه»[2].

للرواية دور مهم في استعادة التاريخ، وترميم فجواته ونقد معطياته الثابتة، وبذلك يحفر الروائي في أغوار التاريخ، ويحاول البحث عن الحقيقة وملابساتها، وتثبيت الوقائع المسكوت عنها والمهمشة. فالرواية «تعبر عن رؤيا خاصة للتاريخ والواقع»[3]، فهناك حقائق يسكت عنها المؤرخون في كتاباتهم، إما بدافع ايديولوجي أو تقصير في استجلاء الحقائق لغياب المصادر الموثوقة فتغيب معها الحلقات المفقودة من التاريخ ،ولهذا فإن بعض النقاد ذهبوا إلى ضرورة توظيف هذا المهمش وفق التخييلي بالاستناد إلى الشفوي المخزون في الذاكرة الجماعية.[4]

3. رصد التاريخ في الروايتين

1.3 تمثل التاريخ في رواية «شبح الكليدوني»

يعود الروائي الجزائري محمد مفلاح في روايته إلى حكايات الجزائريين الذين نفاهم الاستعمار الفرنسي إلى جزيرة كاليدونيا في المحيط الهادي بالقرب من استراليا، ويرحل بنا في سرديات المنفى ليكتب التاريخ الفني للمنفى الجزائري الذي أغفلته الألسنة.

وتتساءل الرواية عن أسباب إهمال المؤرخين للمنفيين في كاليدونيا: «لماذا غيب المؤرخون مأساة هؤلاء الثوار المنفيين إلى كورسيكا وكاليدونيا الجديدة؟ لا نعرف حتى أسماءهم أمر عجيب. ولماذا سكت الناس عن هؤلاء المنفيين الذين لم تذكرهم الكتب المدرسية، ولم تطلق أسماؤهم على الشوارع والمؤسسات؟ عجبا، لم يُلتفت حتى إلى جهاد الشهيد سيدي الأزرق بلحاج» [5].

ولم يكتف محمد مفلاح باستنطاقه التاريخ، بل واصل حركية تسريد التواريخ التي تتماشى وطبيعة الأحداث المسطرة داخل العمل الروائي، وذلك لإيهام المتلقي بواقعية الرواية. وأهم زمن ساهم في تفعيل حركية الأحداث والأفعال، والدفع بها إلى الاستمرارية نحو التقدم هي تلك الحقائق التي ذكرها في رسائله الثلاث: «نعيش في بلاد الكليدون مع إخوان كثيرين عوقبوا بالنفي وهم من أولاد سيدي الشيخ، وسعيدة ومعسكر، وازديف، وناس قسنطينة، والورسنيس. أما عدد المنفيين بسبب ثورة سيدي الأزرق بلحاج وهم من فليتة، وبني راغ، وسهل الشلف وجبال الظهرة، فهو 400 شخص وربما

يفوق، ومات منهم عشرون في أشغال شق الطرق دفناهم في مقبرة المسلمين المعروفة عندنا بسيدي الطيب»[6].

ويُسائل محمد مفلاح في روايته دولة فرنسا (التاريخ والحاضر) مساءلة تاريخية وإنسانية، وهو في العمق الدلالي يتحسر على الصمت الجزائري الرسمي فيقول: «هل يخجل مؤرخو فرنسا الكولونيالية من الكتابة عن معاناة هؤلاء الثوار للمنفيين؟»[7]. ويتحسر على زمن لم يستطع الإمساك به ليكشف أكثر عمّا اقترفه المستعمر من جرائم « آه لو يسمح له وقته بمطالعة كتب أخرى عن جرائم جيش افريقيا الذي يفخر به أحفاد السفاحين، لماذا سكت عنها كتاب ومؤرخو فرنسا؟ وماذا ينتظر المؤرخون الجزائريون للكتابة عنها ؟ »"[8] . من خلال هذا المقطع يعبر عن أسفه للسير في العلاقات الاقتصادية والثقافية والسياسية دون الفصل في القضايا التاريخية.

نلمس تقنية وظفها تتمثل في تنوع الكشف عن المسكوت عنه في التاريخ القديم والحديث حيث عمد إلى تجسيد الزمن التاريخي وحكاية الجزائر مع فرنسا بشكل غير مباشر، حينما يتحدث عن ما أصاب الشيخ التواتي «وذكرت له أنّ الشيخ التواتي توفي أثناء الحرب العالمية الثانية عام دخول الماريكان مدينة غليزان»[9]، بعد أن شارك فرنسا في حربها ضد الألمان، وبذلك يؤرخ لتلك الاتفاقية التي نقضتها فرنسا، والتي تنص على منح الجزائريين استقلالهم بعد تحررها من النازية، وبذلك يثير قضية جرائم فرنسا في الجزائر عبر الحقب الزمنية.

2.3 الأحداث التاريخية في رواية أشواك وياسمين

رواية «أشواك وياسمين» عبارة عن لوحات ومشاهد متغيرة من حقبة تاريخية إلى أخرى، كتبها المصباحي في الولايات المتحدة الأميركية بعد حصوله على إقامة تمنح عادة لكتاب العالم في نطاق مشروع ألماني - أميركي، وتناول خلالها تاريخ تونس من خلال التعرض للثورة التونسية على النظام السابق، واستعرض من خلالها مفاصل تاريخ تونس وجزيئاته الكثيرة.

يستعيد الروائي الفوضى التي طبعت بداية سنة 2011م، ويتجول بين قرطاج وأمجادها الكثيرة، وتأسيس القيروان، وزحف قبيلة بني هلال على تونس خلال العهد الفاطمي بإيعاز من المعز لدين الله الفاطمي حاكم مصر.

تتضمن هذه الرواية العديد من الأحداث المتشابكة تتصل بفترات مختلفة من التاريخ التونسي. وقد استحضر المصباحي فصولا ساخنة من وقائع «ثورة العربان» التي اندلعت ضدّ طغيان البايات عام 1864. «أتتني من الماضي البعيد مشاهد دقيقة، واضحة الصورة عن تلك التي يسميها المؤرخون بـ"ثورة العربان "(1864م)»[10].

ويرجع إلى ما قبل الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب فيستحضر نهاية القائد البربري يوغرطة الذي خاض حروبا طويلة ضدّ روما، والتي تشبه إلى حدّ كبير نهاية علي بن غذاهم،قائد ثورة العربان ، إذ أن الخيانة هي التي أدت الى مقتل كلّ واحد منه.. «هنا يتوقف المؤرخ العجوز عن الكلام ويأتيني صوت المؤرخ الروماني ليروي قصة نهاية المحارب البربري يوغرطة والتي لم تكن مختلفة كثيرا عن نهاية علي بن غذاهم... رغم قرابة الألفي سنة تفصل بين الحادثتين»[11] .

وتذكر الرواية بقضايا الفساد في على أيامه أدّت إلى انهيار نظام بن علي الكاتب، ومنها يعود إلى القرن التاسع عشر ليروي لنا سيرة كل من محمود بن عيّاد، ومصطفى بن اسماعيل اللذين نهبا خزينة المملكة، ممهّدين للاحتلال الفرنسي سنة1881، «يتنحنح المؤرخ العجوز، ثم يقول: لقد عنيت بأخبار هذا الفاسق الفاسد (يعني مصطفى بن إسماعيل) فأنفقت وقتا مديدا في جمع كل ما يتعلق بسيرته من البداية حتى النهاية»[12] .

وأمّا يخصّ بروز الحركات السلفيّة المتطرّفة، فيحيل الكاتب إلى زمن الفتن التي عرفتها تونس في القرن التاسع، والعاشر، والحادي عشر، والتي أدت إلى خراب القيروان، وأشاعت الدمار والضّغائن في كامل أنحاء البلاد ملطّخة أرضها بالدماء، ومفضية إلى مجازر فظيعة اقترفتها الفرق المتصارعة المتناحرة من أجل أولية الخلافة والسلطان وكل منها يبحث عن حجج.

ولا يغفل الكاتب رواية أحداث كثيرة أخرى قديمة وحديثة، منها قصة مراد الثالث الذي حكم تونس بالحديد والنار في النصف الثاني من القرن السادس عشر، والذي كان يخرج للناس يوميا رافعا سيفه لقتل المزيد من الضحايا الذين كان يشوي لحمهم، ويأكله بلذة أمام حاشيته.

ويحيي المصباحي جزءا من تاريخ الصراع بين السنة والشيعة من خلال هذه الرواية مما أدى إلى تخريب جزء مهم من المعالم الأثرية والفنية في مدينة القيروان عاصمة الأغالبة.

وتتطرق الرواية أيضا للهجوم الإسباني على حصون تونس العاصمة والمواجهة بين الإسبان والعثمانيين وسيطرة البايات العثمانيين (حكام تونس) القادمين من الباب العالي، وهو ما أدى إلى فترة الاستعمار الفرنسي لتونس الذي يعود إلى 1 مايو (أيار) 1881.

ثم تناول الروائي تاريخ تونس الحديث، متطرقا بالتفاصيل إلى من حكموا تونس، ودعوات الإصلاح والنهوض الحضاري، وصولا إلى ثورة 2011 التي إنبنت على احتجاجات اجتماعية ومطالب قد تكون المطالب نفسها في القرنين التاسع عشر ومنتصف العشرين كذلك.

4. آليات استثمار التاريخ في الروايتين

يتشكل الخطاب التاريخي في الرواية من خلال اتكاءه على مؤشرات لغوية تاريخية تتبدى في أقوال الشخصيات، أو في أفعالها، أو من خلال استعانة الراوي ببعض العلامات الزمنية الدقيقة

الدالة على أحداث تاريخية معينة، أو استحضاره النصوص والوثائق التاريخية التي تكشف عن قراءة جديدة لبعض حلقاته وبؤره الساخنة،وقد وظفت الروايتين تقنيات وأساليب متنوعة في استثمارها للتاريخ ، ويمكن أن نقتصر الحديث عن الإمكانات التالية :

1.4 . الوثيقة التاريخية

تنهل رواية «شبح الكاليدوني» من تاريخ المقاومة الوطنية ، وقد ركزت على مقاومة ومسيرة الشيخ امحمد المنفي النضالية، وأبانت عن كثير من الوقائع والأحداث التاريخية متوسلة في استثمارها للتاريخي طرقا وأساليب متنوعة .

وتعد الوثيقة / النص من أهم الوسائل التي استغلها الكاتب في هذا الغرض، فكانت بذلك من أبرز القرائن الدالة على حضور المرجع التاريخي في هذه الرواية .

ومن الوثائق التي تستند إليها الرواية الرسائل الثلاث التي حرّرها الشيخ امحمد المنفي، وقد وصفها الكاتب بقوله: «تسلم الرسائل الثلاث من والده(...) .كانت صفراء مكتوبة بخط مغاربي مائل إلى اليمين»[13].

وفي مقطع آخر يقول السارد : « وقرأ في قصاصة من جريدة "المبشر "الفرنسية أن الإمبراطور نابليون الثالث وصل مدينة غليزان يوم 21 جوان 1865 صباحا وغادرها إلى مستغانم على الساعة السادسة مساء في نفس اليوم.(...).واطلع أيضا على قصاصات أخرى ذكرت أنّ نابليون الثالث استجاب لمطالب المتظاهرين فأصدروا عفوا عن بعض الثوار المنفيين وكان عددهم 181 شخصا من بينهم 143 منفيا بكورتي. ولم يستفد الشيخ أمحمد المنفي من ذلك العفو ، كان وقتذاك قد انضم إلى ثورة الكناك»[14].

يشكل نصّ الوثيقة سندا تاريخيا هاما استفادت منه الرواية في دعم نزوعها التاريخي وترسيخه لدى المتلقي .ومن ثمة كانت هذه الوثيقة منطلق كثير من الأحداث التاريخية التي أعادت الرواية صياغتها بطريقة فنية ،يتداخل فيها التاريخ والتخييل.

وفي رواية أشواك وياسمين يستعرض المصباحي مجموعة من المقاطع التاريخية التي تضم رسائل بعثها القنصل الفرنسي قبيل الاحتلال الفرنسي، يطمئن ويشجع فيها العربان على الثورة ضد الباي . وفي مقطع آخر يتحدث المصباحي عن أوضاع مدينته قفصة أثناء الاحتلال الفرنسي للأراضي التونسية فيوردها من خلال الوثيقة التي عثر عليها : «وفي قفصة (...) عثرت على وثيقة كشفت لي سوء أوضاعها في عهد الاستعمار. وهذه الوثيقة هي نص للكاتب البريطاني نورمان دوغلاس الذي يبدو أنه زارها في شتاء عام 1910 »[15].

2.4 تداعي الذاكـرة التاريخية

تتكئ الكتابة الروائية لدى محمد مفلاح وحسونة المصباحي على الذاكرة التي تعدّ من أهم المميزات التي تطبع روايتيهما. فالذاكرة كما تقول الناقدة سيزا قاسم: «تعد إحدى التقنيات المستحدثة في الرواية(...) والاعتماد عليها يضع الاسترجاع في نطاق منظور الشخصية،ويصبغه بصبغة خاصة تعطيه مذاقا عاطفيا»[16].

ما من شكّ في أنّ الاعتماد على ما تختزنه الذاكرة من مكنونات وشروخات يحمل دلالة الاهتمام بها، والاحتفاء بإمكاناتها وطاقاتها الحية النابضة بكثير من الحقائق المغيبة التي تحجبها حالة الانتشاء بانتصارات الماضي التاريخي،إضافة إلى ما سبق يتم استدعاء الماضي و «توظيفه بنائيا عن طريق استعمال الاستذكارات التي تأتي لتلبية بواعث جمالية خالصة في النص الروائي»[17].

تسترجع شخصيات محمد مفلاح أحداث التاريخ ووقائعه، وتشكل بعض الأحداث التاريخية الوطنية منها والعربية مدار متن الرواية، ويورد السارد مقطعا يسترجع فيه معاناة المنفيين وتضامنهم مع الكناك سكان كاليدونيا فيقول :

«لقد أخبرتكم في السابق عن محنة إخواننا الكناك في ثورتهم على الفرنسيس المستبدين.ولما استسلم قائدهم هربت مع ثلاثة من رجال بني جلدتنا(...) .وكان الفرار في سفينة الإنقليز تحمل الزيوت ثم وصلنا مدينة سيدني بأرض استراليا ومنها كان المسير إلى ميناء جدة من بلاد الحجاز ،وقد أنعم الله علينا بزيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة»[18].

وفي مقطع آخر يحكي عن جدته التي تستذكر معه تاريخ المقاومة الشعبية التي عاشتها: «ظلت جدته تروي له بطولات قبيلتها ومقاومتها مع الحاج عبد القادر بن محي الدين وخليفته سيدي عبد الله بن فاطنة ومع الشيخ بومعزة الخويدمي وخليفته الشيخ بصافي وحدثته عن المعاناة التي عاشتها قبيلة فليته بعد استشهاد سيدي الأزرق بلحاج ونفي رجال المقاومة»[19].

يستحضر المصباحي شخصيات حقيقية حتى يرسخ ما ذهب إليه من أغلب تاريخ تونس مبني على الفساد والخيانات والمؤامرات والدسائس والسرقات ، تأتي ثورة العربان في مقدمة الأحداث التي تلفي بظلالها على نص الكاتب: «يوم 08 أفريل 186،بدأت أعراض غضب العربان (....)،ظهر شيخ قبيلة درس في جامع الزيتونة ،ويدعى علي بن غذاهم ، ليعلن العصيان على قرار الباي»[20].

يعلّل الروائي أسباب هزائم الدول المغاربية على اختلاف الأطوار التاريخية وعلى رأسها فساد أولي أمرهم منهم مصطفى بن اسماعيل: « يتنحنح المؤرخ العجوز ،ثم يقول :لقد عنيت بأخبار هذا الفاسق الفاسد (يعني مصطفى بن اسماعيل) فأنفقت وقتا مديدا في جمع كل ما يتعلق بسيرته من البداية حتى النهاية." الذي كان مشردا في الشوارع قبل أن يصبح من حاشية الباي المميزين والمقربين

جدا "مصطفى الآن هو المدلل والمبجل في القصر الملكي ،وهو مروض الوحش .فبصحبته يهدأ الباي الغضوب." "يوم 12 ماي 1881 ،أي يوم توقيع الباي للمعاهدة التي تخول لفرنسا احتلال المملكة التونسية. وقد أمضى تلك المعاهدة أيضا كل من مصطفى بن اسماعيل الوزير الأكبر والجنرال Théodore Roustan القنصل العام لفرنسا بتونس الذي يتقن اللغة العربية وله معرفة واسعة بالإسلام وبالتاريخ العربي«[21] .

إن تمثل السرد الروائي للتاريخ عند حسونة المصباحي يدفعنا إلى البحث داخل النص الروائي لا خارجه عن دلالات ذلك، وعن الأسباب التي دفعت بالكاتب إلى اختيار حقبات تاريخية عديدة، واستدعائها في الظرف الراهن. فلعل ذلك يعكس رؤية يحاول الروائي من خلالها إسقاط الماضي على الحاضر للاستفادة من تجارب أسلافنا في انكساراتهم وانتصاراتهم، أو قد تكون ملاذا يلجأ إليه من وطأة الواقع المر، تأشيرة العبور إليه التخييلُ الفني.

هذا التمثيل الحقيقي لتواريخ عايشتها منطقة تونس، ووقائع مواجهات في تحريرها بشخصيات تخييلية في قرون مضت هي رؤية تنبع من ذاتية المؤلف في ربط الماضي بالحاضر في دعوة صريحة منه إلى التشبث بأرض العروبة والإسلام.هذا البناء التاريخي الذي رسمه السارد ونهل منه مادته من فترات الحكم في تونس ،في علاقة انفصالية مفارقة بين هذا الماضي في وحدة شعبه وثبات مبادئه وبين حاضر تونس الذي يشهد هشاشة مجتمعية تغيب فيها القيم ولا تحترم فيها الأعراف ولا يقدس العلم والعلماء ،مجتمع تمزقه الظروف والتشتت انطلاقا من فرد يعيش مهمشا،هي رؤية المؤلف في إحياء وبعث هذا التاريخ عزاء بحاضر مغيب الهوية.

3.4 الصورة الفوتوغرافية واستدعاء الشخصيات التاريخية

يتواتر توظيف الصورة بأنواعها: فوتوغرافية، لوحات زيتية صور منقوشة، جداريات وغيرها من أشكال التعبير الفني، وقد مثلت مجالا ثريا ومادة سردية هامة تكشف عن قدرات إبداعية للروائي، وعن خلفية معرفية واسعة،وأيضا عن وعيه الفني بضرورة انفتاح الرواية واستفادتها من جميع الفنون »وهذا التعالق بين الفنون يعد ميزة فرضتها الثقافة وأساسا فنيا ثقافيا ،وسبيلا من سبل البحث عن قيم جمالية متعالية«[22].

ففي رواية شبح الكاليدوني نجد المقطع التالي :

«وألقى الشيخ الحاج عبد القوي نظرة عميقة على صورة الأمير عبد القادر المثبتة في الجدار قرب جهاز التلفزة»[23] فتجسد هذه الصورة رؤية الشخصية للتاريخ وموقفها من بعض رموزه (الأمير عبد القادر رمز المقاومة الشعبية الجزائرية) وهي بذلك تمثل وسيلة لنقل التاريخ للروائي ،فنظرة بسيطة لهذه الصورة التاريخية الرامزة تضع السارد أمام الماضي التاريخي الوطني بكل تراكماته وصراعاته التي غيبت كثيرا من الشخصيات الثورية.

أما في رواية «أشواك وياسمين» فنمثل لبعض المقاطع السردية التي توضح أهمية الصورة الفوتوغرافية في إبراز الحقائق التاريخية منها: .«.ها أنا أخيرا في "فيلا أورورا" أمامي صورة بالأبيض والأسود لليون فلوختنفانغر فيها يبدو سعيدا وفي كامل الصحة والحيوية ...وفي صورة أخرى (...) .هو واقف بجانب زوجته الجميلة مارتا لوفر التي قاسمته مر الحياة وحلوها...وفي صيف 1914...اجتازا البحر إلى تونس ففاجأتهما الحرب الكونية هناك وبسبب جنسيتهما الألمانية ،قامت السلطات الفرنسية باعتقالهما غير أنهما تمكنا من الفرار»"[24].

وفي مقطع آخر يقول السارد العليم: «الصورة أخذت يوم 12 ماي 1881، أي يوم توقيع الباي للمعاهدة التي تخول لفرنسا احتلال المملكة التونسية.وقد أمضى تلك المعاهدة أيضا كل من مصطفى بن اسماعيل الوزير الأكبر والجنرال Thedore Roustan القنصل العام لفرنسا بتونس الذي يتقن اللغة العربية وله معرفة واسعة بالإسلام وبالتاريخ العربي»[25].

النتائج من هذه الرحلة:

1.إن المتمثل في روايتي محمد مفلاح وحسونة المصباحي يلفت انتباهه مدى اهتمامهما بالتاريخ وحرصهما الشديد على استعارته أحداثا، وشخوصا، ووقائع.

2.بدا الخطاب التاريخي في بعده الوطني والعربي وأيضا الإنساني سمة تطبع روايتي " شبح الكليدوني و" أشواك وياسمين".وتكشف عن قراءة جديدة لبعض حلقاته وبؤره الساخنة .

3. وظفت الروايتان تقنيات وأساليب متنوعة في استثمارها للتاريخ لتؤكد نزوعهما التجريبي وخروجهما عن السائد والمألوف، وانخراطهما ضمن الروايات الجديدة التي تطمح إلى تجديد أدواتها وأساليبها الفنية.

4. كما بدا جليا أنّ ذكر التاريخ القديم في الروايتين الاثنتين لم يرد اعتباطا وإنما الغاية منه الربط بين الأزمنة لتسير إلى الأفضل مستقبلا لأن التجارب الإنسانية أثبتت أن الأمم التي تغفل تاريخها مسيرها الزوال.

هوامش البحث

[1] . فخري صالح ،2010م، قبل نجيب محفوظ وبعده (دراسات في الرواية العربية)، مصر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ،الطبعة الأولى ،ص 79.

[2] . بعيو نورة ، أشكال وتقنيات توظيف المادة التاريخية في الرواية العربية المعاصرة ،منشورات تحليل الخطاب ،مجلة المخبر (دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والأدب ،جامعة مولود معمري تيزي وزو ،الجزائر ، العدد التاسع ،2011 ،ص42.

[3] / آمنة بلعلى ،المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ،ط02، 2011،ص 55.

[4] ينظر: بن مصطفى محمد ، 2015/، 2014 التاريخي والمتخيل في ثلاثية الجزائر لعبد المالك مرتاض-الملحمة – الطوفان –الخلاص-،رسالة ماجستير في الأدب العربي ، (مخطوط) ،جامعة وهران ،الجزائر،،ص8.

[5] . مفلاح محمد ،2015 ، شبح الكليدوني، دار المنتهى للشر،الجزائر ص 46.

[6] . المصدر نفسه، ص 37.

[7] . المصدر نفسه ،ص 56.

[8] . المصدر نفسه ،ص 60.

[9] . المصدر نفسه،ص 58.

[10] . المصباحي حسونة ، 2015م، أشواك وياسمين، تونس، دار أفاق للنشر، ،ص49.

[11] . المصدر نفسه، ص 89.

[12] . ينظر: المصدر نفسه، ص139-205.

[13] . مفلاح محمد شبح الكليدوني، ص 33.

[14] . المصدر نفسه، ص 79.

[15] . المصباحي حسونة، أشوزاك وياسمين ،ص 257..

[16] قاسم سيزا ، 1984، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)،الهيئة المصرية العامة للكتاب ص43.

[17] . بحراوي حسن ، 1990بنية الشكل الروائي (الفضاء ،الزمن ،الشخصية)،المركز الثقافي العربي ،بيروت ،لبنان ،ط1، ، ص 121.

[18] مفلاح محمد ،شبح الكليدوني ،ص 37-41.

[19] المصدر نفسه،ص 58.

[20] . المصباحي حسونة ،الرواية،ص 51.

[21] .المصدر نفسه حسونة المصباحي، ص138-146.

[22] . التميمي أحمد حميد ،2010، مقدمة في النقد التفاعلي ،كتاب ناشرون ،بيروت ،لبنان ، ط1، ص 53 وينظر: جودي هنية ،2013، التمثيل السردي للتاريخ الوطني في روايات واسيني الأعرج ،مجلة المخبر ،أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ،جامعة بسكرة ،الجزائر ،العدد 09 ، ، ص266.

[23] . مفلاح محمد ، شبح الكليدوني، ص 35.

[24] . المصباحي حسونة ص300-301.

[25] . المصدر نفسه، ص 138.